96
سنة حرية

روز 2

روز اليوسف
صحيفة أسبوعية أدبية مصورة
سياسية

أكتوبر
1925
2020

أحمد بهاء الدين فى بلاط روز اليوسف

أيام لها تاريخ

مازال الكاتب الكبير الأستاذ «أحمد بهاء الدين» ملء السمع والبصر لعشاق الكلمة الرصينة الهادئة العاقلة وصاحب مدرسة الصدر الرحب والعقل المترفع عن الصغائر، كل أنواع الصغائر!!
فى تاريخ الصحافة المصرية والعربية تجىء أسماء وتذهب أسماء لكن اسم «أحمد بهاء الدين» ظل متألقًا وحاضرًا حتى بعد رحيله بنحو 21 عامًا (أغسطس 1996).
لم يسعَ «أحمد بهاء الدين» وراء منصب؛ بل جاءت المناصب إليه ترجوه أن يتقبلها ومنذ وقت مبكر جدًا.

من دراسة أعدها وقدم لها
الأستاذ رشاد كامل

من يعطى فرصة للشباب
يجد كنوزا متفجرة!

إن الذكريات عن مَولد «صباح الخير»، لا تنتهى، ولعل أحد شبابها يفكر يومًا فى كتابة «كتاب» عن هذه التجربة؟
كانت بالنسبة لى- مشروعًا مستحيلًا تمامًا!
منذ ظهرت عشرات المجلات ذات الطابع الاجتماعى.. أو للشباب.. أصدرتها كبريات الصحف، والحكومة أحيانًا، وكانت سرعان ما تغلق أبوابها! فمجلة للشباب لا تجذب عددًا كافيًا. وفوق ذلك لا تجذب إعلانات أبدًا. ومعنى ذلك الإفلاس بعد بضعة أعداد.

وأنا وقتها صحفى وكاتب «ناشئ» وقد كوّنت والحمد لله فى وقت مبكر اسمًا لا بأس به ككاتب سياسى فى «روزاليوسف»، فلماذا أقوم بإصدار مجلة فاشلة مقدمًا، وأنا فى مطلع حياتى الصحفية؟!

ولكن السيدة «روزاليوسف» مصممة تقول لى بإصرار: عندى رخصة باسم «صباح الخير»، وأنا أريد إصدارها قبل أن أموت، وأنت اللى ستصدرها!

وقد كانت السيدة «روزاليوسف» سيدة عظيمة بكل معانى الكلمة.. إن قصتها لم تُكتب بعد.

ومن دون مبالغة أقول إنه ليس فى نساء العالم العربى كله ممن اشتهرن مَن تضارعها.

«هدى شعراوى» مثلًا كانت أولًا زوجة «على باشا شعراوى» أحد أغنياء مصر وأحد كبار زعماء الوفد. ولكن «فاطمة اليوسف» بدأت من نقطة الصفر. من ممثلة كومبارس إلى نجمة المسرح الأولى إلى صاحبة أجرأ مجلة فى الصحافة فى وقتها. إنها الوحيدة التى صنعت نفسها حقًا.

ولستُ أروى هنا قصة «فاطمة اليوسف»، فقط أشير إلى عنادها الأسطورى، وموهبة أخرى نادرة، هى بث الثقة فى الناس وتشجيع الكفاءة بنزاهة هائلة. فهى فوق المنافسة. وفضلها وأثرها علىّ كصحفى لا يماثله أى تأثير آخر. ولأننى فقدت أمى وأنا فى العاشرة من العمر، فقد كانت بالنسبة لى فوق تأثيرها العام، تأثير خاص بى، وجدت فيها أمًا جديدة.

هكذا رضخت لإصرارها، إذ كان من المستحيل بالنسبة لى أن أخذلها فى أى شىء.

ودار «روزاليوسف» دار مكافحة دائمًا. وبالتالى فلا إمكانيات مادية. ولا قدرة على شراء مطابع مختلفة عن مطبعة «روزاليوسف» وقتها. نفس العروض ونفس المطبعة ونفس الشقة الصغيرة. فكيف نختلف عن «روزاليوسف» وهى فى أوج مجدها؟

ومن ذكرياتى التى لا أنساها فى ذلك الوقت، أننى قد أوشكت أن أكون «رئيس تحرير!» إن أعطيت لى غرفة بمفردى.

ولكن الغرفة- بعد أن فرحت بها -وجدت فيها فقط مكتبًا قديمًا ومقعدًا أجلس عليه.. فقط.

وبدأ الناس- خصوصًا الأغراب والمرموقين- يزورونني ولا أجد لهم مقعدًا يجلسون عليه..

وذات يوم ذهبت إلى محل أثاث. واشتريت من مالى القليل كنبة و2 فوتيل، وكليم بسيط، ومكتبة بسيطة. ودفعت فيها كلها ثلاثين جنيهًا! وكان ذلك مبلغًا فادحًا بالنسبة لى. واشترطت على البائع أن يوصل الأثاث إلى المجلة بعد منتصف الليل! وجاء الأثاث وكأننى أقوم بعملية سرّية و«فرشت» المكتب!

وفى الصباح التالى جاءت السيدة

96
سنة حرية

«روزاليوسف» فدهشت من هذا الأثاث الجديد، ولم تبد أى ملاحظة. وبعد انصرافها جاء مدير الإدارة مصممًا على أن يدفع لى ثمن الأثاث، وأن السيدة «روزاليوسف» غاضبة لأننى لم أطلب منها ذلك، ولكننى رفضت، واستمر الشد والجذب شهورًا، وأنا أضحك وأقول: هذا «جهازى» كرئيس تحرير جديد، حتى إذا أفلست المجلة، آخذ «عفشى» إلى بيت أبى!

لم يعين للمجلة إلا اثنان ممن سبق لهم احتراف الصحافة. أنا والفنان حسن فؤاد!

وقررت أن أعتمد على طلبة وطالبات قسم الصحافة.. وعلى الهواة أصحاب المواهب المستعدين للعمل وهو مجانًا أو نظير مكافآت رمزية..

أصدرت المجلة وكلها، رسمًا وكتابة وصحافة، من صنع شباب لم يشتغلوا بالصحافة قط.. أو ليس لديهم فرصة فى صحفهم.

ومن هؤلاء، صارت عشرات الأسماء التى لمعت وملأت الصحف حتى الآن..

أذكر على سبيل المثال: «لويس جريس، أحمد بهجت، زينب صادق، محمود المراغى.. نجاح عمر، رءوف توفيق، راجى عنايت، إيزيس نظمى، فاطمة العطار، ومصطفى نبيل».

وجاءنا شاب قصير بدين هارب من كلية الحقوق ومن بيت أبيه المستشار الجليل؛ لأنه يهوى الرسم والشعر الشعبى، وبدأنا نستعين به فى البروفات وما إلى ذلك، وذات يوم وجدت أنه ملأ الفراغات المرشحة ليملأها كاريكاتير، برسوم كاريكاتيرية فعلًا. ودهشت لما فيها من خطوط جديدة وروح جديدة ونبض جديد. وسألته: لماذا لا ترسم كاريكاتير وتترك حكاية الأغانى.. فقال لى: فى عرضك! لا أحد يعطينى الفرصة.

وظهرت «صباح الخير» وأحد أعظم مفاجآتها رسام كاريكاتير اسمه «صلاح جاهين»!!

نفس الشىء للرسام «أحمد حجازى».. وإيهاب شاكر.. وناجى شاكر.. ورجائى!

أثبتت التجربة أن من يعطى فرصة حقيقية للشباب، يجد كنوزًا متفجرة!

وتعلمت طول حياتى الصحفية بعد ذلك أن أعظم مساهمة منّى للصحافة، هى إعطاء كل موهوب الفرصة الكاملة.. وما أعتز به حتى الآن من مساهمة فى الحياة الصحفية ليس مبانى ولا عمارات.. ولكن مئات الصحفيين الذين أعتز بأنهم عملوا معى.. وهم خيرة الصحفيين فى كل دور الصحف!

كُـتّـاب.. وشـعـراء وصـحـفـيـون.. ورسامون.. أعتز كثيرًا بأنه كان لى دور فى تقديمهم للقراء.

وإلى أن تم طبع أول عدد من المجلة.. كنت أرى أنه تجربة رائعة. ولكن هل يقبل الناس على هذا؟ مجلة واجتماعية وللشباب وتنجح؟! كنت خائفًا لدرجة الرعب. ومن باب توسيع دائرة الاهتمام اخترت لها شعارًا شاملا «للقلوب الشابة والعقول المتحررة».

لقد قررنا أننا مقبلون على عصر جديد. وهناك قيم وعادات وأفكار وتقاليد يجب مناقشتها. وقيم وعادات بالية يجب أن تتراجع. فهناك قضايا مهمة ولكنها ليست مألوفة وقتها للناس.

بريشة حجازى

وليلة إنهاء طبع العدد الأول، اختفيت فى مكان لا يعرفه إلا قليلون، وأخذت أول ممنوعات فى حياتى، لا أريد أن أواجه الصباح وما سيحمله من حظ للمجلة الجديدة..

وبقيت مختفيًا حتى الساعة الثانية عشرة ظهرًا، حين عثروا علىَّ.. وأرسلت السيدة «روزاليوسف» إلىَّ تقول: اظهر وبان.. لقد نفدت المجلة من السوق، والباعة يطلبون المزيد!

ووجدت الشجاعة للخروج إلى الشارع.. والذهاب إلى المجلة!

وكانت ابتسامة الرضا من السيدة «فاطمة اليوسف» أعظم مكافأة!

فتلك كانت موهبتها..

السيدة التى عمل معها «العقاد وطه حسين وأحمد شوقى ومحمود عزمى» وكل اسم كبير فى الصحافة والأدب!

(1981 ôjGôÑa12 -zô« î dG ì ÉÑ°U{)

في سنة واحدة

أيها القارئ..

عندما صَدَرَ العـددُ الأول من «صباح الخير».. قلّبَها صحفى قديم كبير بين يديه، ثم ابتسم قائلا: لـن تأخذ هذه المجلة إلا القـراء الذين يقلون عن ثلاثين سنة من العمر!

ولم نغضب يومها من هذا التعليق، بل قلنا إنه بُشرى مستقبل عظيمٍ ينتظر «صباح الخير».. فهى مجلة قد ربطت مصيرَها بالشباب، أى بالمستقبل.

ولكن الأيام أثبتـت أن للشباب معنى آخر غير معنى السِّن، نعم إنٍ الشباب والشابات وجدوا فى «صباح الخير» صديقا وفيًّا لهم، يواجه مشاكلهم النفسيـة والمادية والاجتماعيـة والعاطفية فى شجاعـة وصراحة كاملتين، ويحـاول أن يلتمس لهـا الحلول، ولكن هذا لم يمنع أن تكسب «صباح الخير» قراءً آخرين.. تختلف أعمارهم ولكنهم يتمتعـون جميعًا بالشباب.. شباب القلب، والعقل، والروح.

وقد قلنا لك- يا عزيزى القارئ- فى الأعداد الأولى من «صباح الخير» أننا تصوّرنا ونحن نضـع خطة المجلة: أسرة فى مجتمعنا فيها الأب والأم، وفيها الشـاب والشابة فى مرحلة النضوج وفيهـا الفتى والفتاة فى سن المراهقة، وقررٍنـا أن تكون «صباح الخير» صوتا يخاطب كل هـؤلاء، ويشتـرك معهم فى حل مشاكل وتلبيـة اهتماماتهم..

وعلـى هـذا الأساس عالجت «صباح الخير» مشاكل العلاقة بين الـزوج والزوجة،. وبين الآباء والأبناء، وبين الشبان والشابـات، كمـا عالجـت علاقة هـؤلاء جميعًا بأسرة الوطن، وبأسرة الإنسانية جمعاء.

وفـى الرسـوم الكاريكاتيريـة أيضا؛ لم تلجأ «صباح الخير» إلى مواضيـع الكاريكاتيـر المطروقـة كحكايـة الزوجـة التـى تخون زوجها، ولم تلجأ إلى موضوعـات أجنبيـة كنكتة الفقير الهندى وما إليها؛ إنما اتجه الكاريكاتير مـع القلم نحو الجو الحقيقـى المحيط بنا، ففى هذا العدد مثلا تجـد الكاريكاتير يتحدث عن جو الدواويـن الحكومية، عـن الريفى فـى المدينة الكبيـرة، عـن الطفلـة التـى تعمـل خادمة فى بيوتنـا.. وعن.. وعـن.. حتى سلسلـة «قيس وليلى»، أخذنا رمزها من تراثنا العربى، وجعلنا دلالتهـا تدور حول أسلوب العلاقة التى تقوم بين المرأة والرجل..

وفى السياسـة، لم تكن رسالة «صباح الخير» أن تقـدم لك الأنباء؛ إنمـا كان همُّها أن توضح لك «معنى» الأنباء، هى تقدم لك التفسير والتوضيح، والقصة، والصورة الشخصية، التى تتكون منها «نظـارة» تستطيـع أن تقـرأ بها الأنبـاء، التى تنشرها الصحف اليومية، قراءة صحيحة.. وفى هذا الباب التزمت «صباح الخير» الأسلوب العلمى الموضوعى، لا الأسلـوب الشخصى فى التحليل، ومن هنا كانـت «صباح الخير» مثـلا هى المجلة الوحيدة التى أكـدت أن إنجلترا سوف تشن حملة عسكرية على مصر، فـى حين كانت أكثر الصحف تستبعد هذا الاحتمال، كما كانت أول مجلة توقعت الاضطرابات والأحداث التى وقعت فى شرق أوروبا!

وقد تدهش- إذا علمـت- أن «صباح الخير» فى السنـة الأولى من عمرها استطاعـت أن تكون من أوسع المجـلات والصحف المصريـة انتشارًا فى العالـم العربـى، ذلك أن «صبـاح الخير» كانت تؤمـن منـذ البداية بوحـدة الوطـن العربى فى الإحساسـ وفى الكفـاح وفى المصيـر، وهى لم تكتف بنشر أنباء البلاد العربية الأخرى فحسب، ولكنهـا جعلت نفسها طرفا فـى الحياة الداخلية لكل بلـد عربى شقيـق، لها فى كل بلـد أصدقاء وخصـوم، فأنا أهتم بدمشـق لأنها بلدى، كما أن القاهرة بلد أى سورى.. ومن هنا.. كانت «صباح الخيـر» أول مجلة وضعت النقط على الحروف فى السياسـة السورية، وقسَّمت الأحـزاب هناك إلى أنصار للتحرر العربى وأعـداء له، وسمَّت أولئك وهؤلاء بالاسم الأمر الذى تأكد بحذافيره فى قضية المؤامرة السوريـة الأخيرة.. ومن هذه السياسة الوطنيـة استمدت «صبـاح الخيـر» سمعتها فى العالم العربـى، وأصبحت زيارة «صباح الخير» أول بند لدى كل زعيم عربى وطنى يزور القاهرة!

و«صباح الخيـر» حريصة دائمًا على أن تربطك بالعالـم الخارجى كله. إن العالم اليوم يتشابك ويتقارب، والحـادث الذى يقع فـى الهند اليوم يؤثـر فينا غدًا، ففى خـلال سنتها الأولى، كانت «صباح الخير» المجلة الوحيدة التى استطاع أحد كتابها أن يقتحم أسوار «نورى السعيد» الحديدية حول العراق، ويقـدم صورة شاملة عن الموقف، واستطـاع مندوبها «سعد زغلول فـؤاد» أن يدخل الجزائـر الملتهبة ويعيش مع جيشـ التحرير، وذهـب مندوبهـا «صبـرى أيوب» إلـى موسكو، و«لويس جريس» إلى واشنطن.

وبعد..

ربما كانـت «صباح الخير» لم تنجـح أحيانًا فـى أن تعبر عن كل ما أرادت أن تعبر عنه، وربما كانت لم تحقق كل مـا أرادت أن تحققه لك، وهى تعترف بذلـك.. إن السنة الأولـى من العمر هى سنة التجربة التى تسبق النضوجِ.. إن ما صنعته فى هـذه السنة الأولى مجـرِد حجَر صغير، وهى تعتبـرك منذ اليـوم مسئولا معها عـن إتمام هذا البناء، إن رأيك، ونقدك ومشاركتك وملاحظتك هى التى سوف تجعل هذ البناء أمرًا ممكنا.

(1956 ôjÉæj 3)

96
سنة حرية

أم كلثوم

بعض الناس يفقدون إعجابَهم بالفنان، إذا عرفوا فيه الإنسانِ، إنهم يحبون أن يتصوروه دائمًا إنسانًا خارقًا للعادة، يختلف عن سائر البشر، حتى فى حياته العادية، فالشاعر يجب أن يكون شاردًا هائمًا لا يتحدث إلا عن الأوهام وعرائس الإلهام! والموسيقار يجب أن يكون شاحبًا حالمًا يدندن ولا يتكلم! والرسام الكاريكاتيرى بهلوان لا يكف عن الضحك والتهريج..

وهؤلاء نخيبٍ ظنهمٍ إذا عرفوا أن الملحن قد يكون طويلاً عريضًا صاحيًا مثل «كمال الطويلٍ»، وأن الشاعر قد يكون قصيرًا «ملظلظا» مثل «صلاح جاهين».

وأنا على عكس هؤلاء.. يزيد تقديرى للفنان عندما أعرف فيه الإنسان.. عندما أجد أن الفن ليس مجرد بضاعة يبيعها للناس؛ إنما هو شىء حقيقى عميق فى حياته.

وفى هذا الأسبوعِ، رأيت «أم كلثوم»، كنت أراها قبل ذلك واقفة على المسرح، فى ثوب السهرة الطويل، ويداها تعصران منديلها الشهير.. حولها أفراد التخت يعزفون وحولى مئات من الناس تارة ينصتون كالعقلاء وتارة يصبحون كالمجانين، ولكننى فى هذا الأسبوع رأيتها فى بيتها.. بغير تخت وبغير جمهور، وبغير منديل طويل.

سيدة مصرية بسيطة، دهشتُ عندما وجدت أنها ليست طويلة القامة كما تبدٍو على المسرحٍ، تلبِس فستانًا بسيطًا، وحذاءً بسيطا، وشعرها الأسود الفاحم معقود إلى الخلف فى بساطة، وليس فى جيدها أو معصمها قطعة واحدة من المجوهرات.. وبعد دقائق من الحديث تشعر بألفة كاملة.. وبأنك تعرفها منذ سنوات وسنوات.. علامة لا تخطئ من علامات الفنان الأصيل.

إن الفنان المزيف يضع أقنعة وراء أقنعة من الاصطناع والتكلف، أمّا الفنان الحقيقى؛ فإننا لا نضيع وقتًا فى إزاحة الأقنعة واكتشافها؛ إنما نلمح وجهَه الحقيقى من الوهلة الأولى.

وغنّت أم كلثوم- أقصد تكلّمت- طويلاً فى السياسة.. طاف الحديثُ بنا فى ساعة واحدة حول سياسة العالم بوجه عام، وسياسة الشرق الأوسط بوجه خاص.. إن أم كلثوم تفكر فى السياسة وتحيا فى مشاكل بلادها بعمق السياسى المحترف، وقد أدهشنى ذلك لأننى تعودت أن أجد أغلب أهل الفن عندنا يعيشون فى عالم آخر، حدوده ماذا قالت الصحف عن فلان وماذا كانت تلبس فلانة، أمّا «أم كلثوم»، فقد كانت تؤدى المعانى السياسية بنفس الدقة التى تؤدى بها الألحان.. حتى كدت أكثر من مرّة أن أنسَى أننى جالس فى حجرة هادئة صغيرة، وأن أصيح كما يفعل جمهورها:

– يا سلام يا سومة!!

(1957 ôjGôÑa 14 -zô« î dG ì ÉÑ°U{)

نصف الساعة الأخير

إن سرَّ «فاطمة اليوسف» يتلخص فى نصف الساعة الأخير من حياتها.. لقد استطاعت إرادتها أن توقف الموت عند بابها، نصف ساعة كاملة، قبل أن تأذن له بالدخول..
لقد فاجأتها «السكتة» وهى جالسة فى إحدى دور السينما، ولكنها لم تسقط من الضربة الأولى، وهى الرقيقة الصحة، كما يحدث للآخرين، إنها لم تكد تشعر بها، حتى قالت للسيدة التى كانت ترافقها: أريد أن أعود حالا إلى البيت! وخرجتا تبحثان عن سيارتها فلم تجداها، وحاولت صاحبتها أن تغريها بأن تستريح دقائق حتى تحضر السيارة ولكنها رفضت، وركبت أول تاكسى إلى البيت.

وأغلب الظن أنها كانت قد عرفت أن هذه هى النهاية، والمؤكد أنها لم تنزعج، ولم تندهش، بدليل أنها كانت فى الشهور الأخيرة تتحدث عن النهاية بلا سبب، تتحدث عنها وهى تبتسم كأنها تتحدث عن سَفر عادى.. وبدليل الابتسامة الغريبة التى تركها الموت على شفتيها، ابتسامة الرضى النفسى، والراحة العميقة، التى يحس بها من عاد من رحلة طويلة ناجحة.

كانت قد عرفت أن هذه هى النهاية ولكنها كانت مصممة على أن تصل أولا إلى بيتها، وإلى فراشها، لقد كانت دائمًا تقول أنها أصبحت لا تريد شيئًا إلّا أن تلقى النهاية فى بيتها هادئة.. وقد تبدو هذه للكثيرين أمنية عادية بسيطة، ولكنها أمنية عميقة المغزى، عند الذين عاشوا حياة حافلة بالخطوب، حارَّة كلهب المعركة، إن الوطن لا يعرف قيمته إلا المغترب، والأمن لا يحس بطعمه إلا المحارب، والنهاية الهادئة فى البيت لا يتمناها أحد كالذين ذاقوا البداية الشاقة والحياة المضطربة الصاخبة..

وقد وصلت بالفعل إلى باب بيتها، وأخرجت المفتاح ووضعته فى ثقب الباب، ولكنها عجزت عن أن تديره، كانت حياة صحتها وحياة جسدها قد انتهت، ولم تبقَ إلا حياة إرادتها فحسب! وفتحت صاحبتها لها الباب.. ودخلت هى سائرة على قدميها إلى حجرة النوم، وغيرت ثيابها، ووضعت كل شىء فى مكانه، وفى اللحظة التى مالت فيها إلى الفراش لتنام، فى اللحظة التى تركت فيها إرادتها، انطفأت الشمعة الأخيرة.. جاءتها النهاية التى تنحَّت عن طريقها جانبًا، نصف ساعة كاملة، احترامًا لإرادتها!

إن سرَّ «فاطمة اليوسف» وجوهرها النادر هو هذه الإرادة، إرادة لا تضعف فى وجه أى شىء، إرادة تستصغر الخطر، وتبتسم للمحنة، وتجعل كل شىء، يبدو ممكنًا فى عينها وفى أعين الذين حولها! وليست هذه الإرادة موهبة عادية يتساوى فيها الجميع.. إنها موهبة لا يحظى بها إلا القليلون النادرون، فنوع الإرادة هو الذى يفصل فى مستقبل كل شىء.. هل يكون.. أو لا يكون؟

ولم تكن إرادة «فاطمة اليوسف» إرادة سلبية، إرادة صمود ودفاع فحسب، ولكنها كانت إرادة إيجابية، بنّاءة.. خلّاقة.. وإلا، فكيف يمكن أن نفسّر قصة حياتها العجيبة الباهرة، التى لا أعرف فى تاريخ الشرق العربى الحديث كله قصة واحدة، لامرأة واحدة تدانى قصتها فى الروعة والخصب والبناء؟!

كيف نفسر- بغير هذه الإرادة الخلّاقة- قصة فتاة كآلاف الفتيات، وجدت نفسَها يتيمة فقيرة وحيدة جميلة وهى فى العاشرة من العمر.. ثم استطاعت أن تحيا هذه الحياة الحافلة، فتنشئ مؤسَّسَة ضخمة، وتطاول الساسة والزعماء، وتلعب دورًا كبيرًا فى حياة وطنها السياسية والعقلية والفنية على السواء؟..

إنها إرادة مُرَكّبة من جوهر غريب نادر، يفتت الذرَّة، ويشق الطرُق المغلقة، ويخلق الوجود من العدم.

لقد دخلت هذه الفتاة اليتيمة الفقيرة الوحيدة بإرادتها إلى المسرح الحافل بالأبطال والبطلات، فكانت أسرع الجميع فى التقاط فن التمثيل، ودراسته، والإخلاص له، ثم لم تلبث أن أصبحت نجمته الأولى.. لم تصل إلى هذا فى سهولة ويُسر، ولكنها تنقّلت بين الفرق التمثيلية، وجابت قرى القطر المصرى مع الفرق التى كانت تنصب مسرحَها فى كل قرية، وتجمع الجمهور البسيط حول أضوائها، وتعمل عملاً مضنيًا طول اليوم؛ لتجد آخر اليوم طعامَها.. صنعت هذا كله قبل أن تصبح مَلكة المسارح الأولى فى القاهرة، وقبل أن تجعل جمهور العاصمة المستنير الصعب يشق السّهر بتصفيقه لها كل ليلة.

وبنفس الإرادة العجيبة، تركت هذا المجد المسرحى كله بقرار واحد، وبدأت فى ميدان جديد تمامًا، أكثر صعوبة من الميدان الأول، هو ميدان الصحافة السياسية. الميدان الذى كان العشرات من ذوى الأموال الطائلة، والشهادات العالية، يتساقطون فيه صرعى، فاستطاعت هى أن تصمد فيه، وأن تنشئ، وأن تترك هذا البناء الشامخ من بَعدها.

والذين يبنون- فى أى مجتمع- قلة قليلة، وهم مَهما جنوا من ثمار بنائهم؛ فإن كل ما يعود عليهم من خير، لا يقاس شيئًا بجانب

96
سنة حرية

فى اللحظة التى مالت فيها إلى الفراش لتنام، فى اللحظة التى تركت فيها إرادتها، انطفأت الشمعة الأخيرة

الثمار التى يجنيها المجتمع، ويجنيها الآخرون.

هذه الدار التى أقامتها.. والصعوبات الهائلة التى تحمّلتها فى سبيل إقامتها وتدعيمها والدفاع عنها، وتعب السنوات وحرمان الليالى.. كيف يمكن أن تقاس الثمرة التى جنتها منها، والتى تركتها اليوم، إلى جانب الثمار التى جناها منها الوطن.. وجنتها أجيال من الكُتّاب والمفكرين والمثقفين؟

لقد كان كفاحُها هذا كله.. لكى أجىء أنا.. ويجىء عشرات مثلى، جيلاً بعد جيل.. فيجدون الدارَ التى تضمّهم، والمنبر الذى يشبّون عليه، والقلعة التى تستعصى على الإغراء، وتستعصى على الإرهاب، وتستعصى حتى لحظة ضعف الإنسان، بينه وبين نفسه!

و«البناء» هنا لا يُقاس بالدار، والمطابع، ورقم التوزيع، وعدد الذين يعملون؛ إنما يُقاس بمئات الآلاف: بل بالملايين، الذين أتاحت لهم أن يقرأوا.. بالملايين الذين أقامت لهم «جهاز إرسال» ضخمًا تصل موجاته إلى قلوبهم وعقولهم ونفوسهم، سنة وراء سنة وراء أخرى، فإذا بهم يتكوّنون ويتطوّرون.

هذا هو البناء..

وهذه هى الإرادة الخلّاقة البانية.. وهذا هو ربحُها.. وربحُنا!

على أن الأعجب من هذا، أن توجد هذه الإرادة الخلّاقة الصلبة، فى إهاب رقيق جميل حساس!

لقد كانت النقلة من مكتبها إلى بيتها كالنقلة من عالم إلى عالم، إن الجَوّ المبدع الخلاق الذى كانت تصنعه فى مكان العمل، لا يدانيه إلا الجَوّ الجميل الوادع الذى كانت تخلقه فى البيت، الإنسان الذى يعمل معها، ترعاه فى مكتبها رعاية المشجعة والباعثة على الإصرار، وترعاه فى بيتها رعاية الأمّ الفنانة الحنون، فنجان القهوة الذى تقدمه لك جميل، كوبة الماء جميلة، منفضة السجاير جميلة رقيقة.. اليد والعين التى تختار وتطهو وتنسّق كفنانة، لا تكاد تصدق أنها اليد أو العين التى تعاين المطابع، وتشترى أطنان الورق، وتلوح فى وجه الأزمات!

وقد كانت هذه الإرادة الثمينة مصدر شبابها الخالد!

نعم، شبابها الخالد! لقد دخلتْ إلى مكتبى منذ أيام قليلة، وجلست تحدثنى عن متاعب الإدارة، وعن انصراف الشباب فى مصر عن أعمال الإدارة رُغمَ مستقبلها العظيم وأهميتها الكبرى، حتى أصبحت الإدارة فى العالم الحديث علمًا راقيًا وفنًا رفيعًا.. وقالت لى أنها سمعت أنهم فتحوا فى مصر مدرسة مسائية لتعليم فن الإدارة الحديثة، وأنهم استحضروا أساتذة من الخارج ليعلموا رؤساء الإدارات فى الحكومة والمؤسّسات الكبرى.. ثم قالت: أنها تفكر فى الالتحاق بهذه المدرسة!

ولم أندهش من تفكيرها هذا، فهو ليس غريبًا عليها، ولكننى فقط حاولت أن أقنعها بأن صحتها قد لا تحتمل مجهودًا جديدًا!.

وبعد..

لقد قلت فى أول هذا المقال أنها كانت فى الشهور الأخيرة تتحدث عن النهاية ببساطة واطمئنان.. وقلت فى آخره أنها كانت تفكر فى الالتحاق بمدرسة الإدارة.. ولم يكن بين هذيْن التفكيرَيْن- فى نفسها- أى تناقض!

لقد وصلت فى آخر حياتها إلى حالة جميلة رقراقة من الصفاء والتوازن النفسى.. فهى ليست خائفة ولا قلقة أن تأتى النهاية غدًا، أو أن تأتى أيام كثيرة طويلة من العمل؛ إنما هى راحة ورضى وحمد، وشفافية كشفافية هذه السماء التى صعدت إليها باسمة!

(1958 أبريل 14 -zô« î dG ì ÉÑ°U{)

آراء عصرية

المجلة اسمها «منبر الإسلام»، والجهة التى تصدرها وزارة الأوقاف، ومحرروها: موظفون فى قسم المساجد.

ومعنى هذا كله أنها مجلة رسمية! وأنها عندما تتصدى للكلام فى مختلف الشئون فإنها تراعى هذه الصفة الرسمية.. فإن الدولة لا تصدرها لكى تعبر عن الآراء الشخصية لمشايخ قسم المساجد بوزارة الأوقاف.

ومع ذلك.. فالعَدد الذى بين يدى من هذه المجلة، والذى أرسله إلىَّ أحدُ القراء، فيه سباب شائن بذىء فى السيدة «فاطمة اليوسف» وفى «إحسان عبدالقدوس»، وفى دار «روزاليوسف»!

قالت المجلة إن «إحسان» عندما أثار قضية الأسلحة الفاسدة إنما كان ينافق الملك.. وهذه كما ترون نكتة تشهد للمجلة بخفة الدم المنقطعة النظير!

وقالت: إن دار «روزاليوسف» تروّج للإلحاد.. لأنها نشرت استفتاء بين طلبة الجامعة وطالباتها تحدّثوا فيه عن معتقداتهم الدينية. وزعمت المجلة أن الطلبة والطالبات الذين سألتهم «روزاليوسف» شخصيات وهمية، بحثت الجامعة عن أسمائهم بين طلبتها فلم تجد!!

وهذه أكذوبة صريحة لا أعرف كيف يقدم عليها مشايخ قسم المساجد بأعصاب هادئة!

ولا أريد أن أناقش محتويات المقال، فهو- من ناحية الموضوع - ليس فيه ما يستأهل المناقشة.. ولو كان موظفو هذه المجلة يسكبون قاذوراتهم فى أى مكان آخر لما علقت عليه، عملا بالقول الحكيم «داروا سفهاءكم»!

ولكن الذى أعلق عليه فقط هو: أن يسكبوا هذه القاذورات فى مجلة رسمية حكومية.

وقد جعلنى هذا المقال أقلب سائر صفحات المجلة، لأرى نوعًا من تفكير هؤلاء الذين يحررونها.. أردت أن أعرف هل يا ترى يعرضون الإسلام عرضًا عصريّا؟ هل تراهم يجتهدون فى إقناع الناس بأن الإسلام يتسع لحياتنا الحديثة المتجددة؟

وهنا وجدت قارئًا يسأل المجلة: ما حُكم التأمين على الحياة إذا قصد به الادخار؟ وما حُكم الأرباح التى توزعها شركات التأمين؟

وقالت المجلة الغراء: إن عقود التأمين عقود غير شرعية! والتأمين كله قمار ومخاطرة!

ويقفز السؤال مرّة أخرى: هل يجوز هذا على صفحات مجلة رسمية؟ هل من الحكمة أن تصدر هذه الفتاوى من مجلة رسمية ونحن نمصّر شركات التأمين الأجنبية، ونشجع انتشار شركات تأمين مصرية؟ والدولة نفسها تسن قوانين للتأمين والادخار؟

هل تدفع الدولة أموالها لتنشر هذا الجهل والتأخر؟ الجهل والتأخر فى فهم الدين والدنيا معا؟..

أليس من الجهل والتأخر، أن يزعم أصحاب هذه الفتاوى، أن القرآن عندما كان ينهى المؤمنين عن القمار، كان ينهى عمّا استلزمته الحياة الحديثة من تأمين على الحياة وعلى النقل وعلى البضائع وضد الحوادث والكوارث.. إلخ؟

أليس من الجهل والتأخر وضيق الأفق، أن لا يدرك أصحاب هذه الفتاوى حكمة نظام التأمين وحقيقته؟ وأنه ليس قمارًا يُعَرِّض الإنسانَ لكارثة- وتلك حكمة النهى عن القمار- ولكنه على العكس تحصين للأفراد والعائلات ضد الكوارث المفاجئة؟

ووصف المجلة لعمليات التأمين بأنها قمار.. يمتد ولا شك إلى سائر أنواع التأمين: بما فيها التأمين ضد العجز، وضد البطالة، وضد الشيخوخة، وضد حوادث العمل!

أى أن مجلة المساجد تجعل الإسلام معارضًا لأهم صور التطور الاجتماعى فى المجتمع الحديث! ولأروع وأشرف الحقوق التى تعترف بها المجتمعات الحديثة!

ولا شك أن الإسلام برىء من هذا التفسير الغريب!.. ولا شك أن تفسير أمثال هؤلاء للإسلام ينطبق عليه القول المأثور «عدو عاقل، خير من صديق جاهل!».

وبعد..

ما رأى الأستاذ «أحمد حسن الباقورى» وزير الأوقاف فى هذا الكلام وفى هذا التصرف العابث بأموال الدولة؟

إن المقال الافتتاحى لهذا العدد كتبه الأستاذ «الباقورى» نفسه.. ومعنى ذلك أنه قرأ هذا العدد، بعد صدوره على الأقل!.. فهل هو راضٍ عن هذا كله؟.

(1957 ¢SQÉe28 zÔ« Î dG Ì ÉÑ°U{)

96
سنة حرية

إسلام عبد الوهاب

انهار لوفاة «أمه» ولم يهتز لموت صاحبة المجلة

الحوار الأخير لفاطمة اليوسف مع ولدها إحسان

كنت أنتظرها لتدخل مكتبى بعد أن تتم جولتها فى الدار.. وقلبى يدق كأنى على موعد مع حبيبتى!

دائمًا ما يكون اليوم الأخير فى حياة الشخصيات العامّة يومًا غير عادى.. ولِمَ لا وحياتهم تحكى عن تفاصيل لا بُدّ أن تُروَى فى مذكرات قد يكتبها بعضهم قبل الممات.. لعلها تصبح نبراسًا ينير الطريقَ لأجيال ممتدة بعد الرحيل!

ولأننا نحتفى بمرور 95 عامًا على هذا الصرح الصحفى الاستثنائى كان لا بُدَّ أن ننسب الفضل أولًا وأخيرًا لصاحبة الدار.. سيدة الصحافة العربية «فاطمة اليوسف».. هذه السيدة التى وهبت حياتها للفن والصحافة فكانت «سارة برنار الشرق» كما أطلق عليها الوسط الفنى آنذاك.

ولكن، هل تعرف كواليس اليوم الأخير فى حياة هذه السيدة.. هل تتشوق لمعرفة آخر اللحظات فى عمْر «روزا».. السطور التالية تكشف جانبًا قد لا يعرفه الكثيرون عن الساعات الأخيرة قبل رحيل السيدة «فاطمة اليوسف».

لنبدأ من هذه الرسالة التى كتبتها «فاطمة اليوسف» لنجلها الأديب «إحسان عبدالقدوس»: (إليك يا بنى.. أهدى لك هذه الذكريات الناقصة كما تقول.. وإنك لتعلم أن من الأشياء ما يصعب على المرء أن يقوله أو يوضّحه.. وإنه ليكفى أن تكون عالمًا بما فى هذه الذكريات من نقص لأطمئن إلى أنك سوف تكملها ذات يوم!).

هذا كان إهداء «فاطمة اليوسف» لنجلها «إحسان» فى مذكراتها التى سمتها «ذكريات»، فماذا كتب «إحسان» يوم الوفاة؟

قال: (الحياة لن تتوقف)!

قد تظن إنها قسوة قلب ولكنك - عزيزى القارئ - قد تغير وجهة نظرك بعد أن تعرف ما الذى سطره «إحسان» بخط يده يوم وفاة والدته تحت عنوان «الحياة لن تتوقف»؛ حيث قال: «وقمت أسير فى العالم الآخر الذى أعيش فيه مع أمى.. وخرجت من الشرفة.. فوجئت بمفاجأة كادت تخلع قلبى، لقد رأيت رجلا يسير فى الشارع ومركبًا تطفو على سطح النيل وعربة محملة بالخضار وورودًا جميلة فى الحديقة المجاورة.. وطلبة وطالبات وبائع جرائد يصيح.. صباح الخير!

إننا لسنا فى العالم الآخر.. إن الحياة لم تتوقف، وعدت من الشرفة لأبحث عن أمى وأبشرها بأن الحياة لن تتوقف.

إن بابها مغلق..

أغلقوه بالمفتاح حتى لا أصل إليها!

ووقفت طويلا أمام الباب.. ثم أقنعت نفسى.. أقنعت نفسى أنها ماتت.. أمى ماتت!!

وعدت أطوف بحجرات البيت.. وفى الحجرة التى تعودت أن تجلس فيها لتقرأ وجدت نظارتها موضوعة فوق العددين الأخيرين من «روز اليوسف» و«صباح الخير».. وأخذت النظارة ووضعتها فى جيبى.. إنها لاتزال فى جيبى إلى الآن.. لعلى أرى بها ما كانت تراه!».

هكذا كان رثاء الأديب إحسان عبدالقدوس لأمّه «فاطمة اليوسف».. فماذا كتب عن اليوم الأخير فى حياة والدته فاطمة اليوسف؟

قال إحسان «كانت الحياة تسير فى يسر.. والنشرة الجوية تؤكد أن الجو معتدل.. لا عواصف ولا زلازل.. تحملنى الابتسامات إلى مكتبى وأجلس فى استرخاء أقلب فى الصحف وأرشف فنجان القهوة وأنفث دخان سيجارتى لا شىء يقلقنى لا شىء أخافه.. إنى مطمئن.

ويسرى فى الدار صوت رقيق عذب كأنه صوت طفلة.. كان ما يميزه عن صوت البنات أن فيه رنة حزم ونبرة ثقة.. لم يكن صوتًا عاليًا، لكنه كان صوتًا لا يذوب.. تتسع موجاته فى هدوء.. تتعدى الجدران حتى تصل إلى بعيد.

ووصل الصوت العذب إلى مكتبى فطويت الصحيفة بسرعة وأبعدت عنّى فنجان القهوة وأسقطت السيجارة من بين أصابعى وأمسكت بقلمى وبدأت أعمل.. كالتلميذ عندما يحس بقدوم أستاذه!

لقد وصلت الأستاذة إلى الدار.

وسمعت صوت قدميها تصعد السلم وجاءت السكرتيرة نرمين تقول لى: الست طلعت فوق.. فى الإدارة!

وبعد فترة سمعت صوت قدميها وهى تنزل فجاءت نرمين - يقصد نرمين القوسنى مديرة مكتب إحسان عبدالقدوس آنذاك - تقول لى: الست نزلت تحت فى المطبعة!

ثم سمعت صوت قدميها تصعد مرة ثانية وقالت لى نرمين: الست فى مكتب الأستاذ بهاء - يقصد أحمد بهاء الدين رئيس تحرير «صباح الخير» آن ذاك - ثم جاءت لى بعد فترة تقول لى الست فى «أوضة» الرسامين.

ثم الست فى مكتبها مع مستوردى الورق!».

ويكمل «إحسان» حديثه عن اليوم الأخير فى حياة أمّه قائلا: «فى هذا اليوم الذى أشعر فيه بالاطمئنان على يومى وغدى كنت أنتظرها لتدخل مكتبى كعادتها بعد أن تتم جولتها فى الدار.. كنت أنتظرها وقلبى يدق كأنى على موعد مع حبيبتى!

وهى حبيبتى..

إنها ليست كالرجال كما أرادوا أن يصفوها.. إن قوتها مغلفة بالحب بالحنان بالرقة.. إنها جميلة.. جميلة جدًا.. أجمل سيدة فى حياتى.

وجاءت حبيبتى ووقفتُ قافزًا كأنما جاء فى ركابها موكب العظماء.. وخطوت إليها وانحنيت أقبّل يدَها وأرفعها إلى جبينى كما عودتها وقبّلتنى فى جبينى كما عودتنى.

ثم قالت: إزيك النهارده يا حبيبى.

قلت وأنا أشعر بصباى: الله يسلمك يا ماما.

قالت: مبوّز النهارده ولّا بتضحك.

قلت: باضحك.

قالت: أوع تبوّز.. عايزة أشوفك بتضحك دايمًا!

وكنت على موعد لعَقد اجتماع خاص بالشئون الإدارية فأصرّت على أن أترك المكتب وأذهب إلى النادى لأستريح، وكان هذا آخر ما رأيته وما سمعته من حياة أمى.. وفى المساء جاءت إلى المكتب وأشرفت على أعمالها وهى جالسة فى سيارتها ولكنى لم أرها.

كنت جالسًا فى مكتبى أكتب قصة.. ثم بدأت القصة الكبرى عندما دق جرس التليفون فى مكتبى وأنا مازلت أكتب قصتى يملؤنى الغرور بأنى أستطيع أن أخلق حياة على الورق وأحرّك أشخاصها كما أريد..

96 سنة حرية

إنها ليست كالرجال كما أرادوا أن يصفوها.. إن قوتها مغلفة بالحب بالحنان بالرقة.. إنها جميلة.. جميلة جدًا.. أجمل سيدة فى حياتى

وقال الصوت فى التلفون:
والدتك تعبانة شوية.. هات دكتور وتعال!
وأمرت عامل التليفون بأن يبحث عن الطبيب.. وظللت أكتب مستمرًا فى غرورى، ثم فجأة تنبّهت.. وألقيت بالقلم من بين أصابعى كأنه يلسعنى، تنبّهت إلى أن الذى خاطبنى قال لى تعال!.. إنهم فى العادة لا يستدعوننى عندما تمرض أمّى.. ولكنه قال تعال.
وارتديت سترتى وهرولت على السلم وركبت سيارتى والوساوس السوداء تملأ رأسى وأقنعت نفسى لا بُدّ أنها أكلت شيئًا دسمًا فعاودتها نوبة المرارة.
دخلتُ البيت وقد وضعت بين شفتى ابتسامة كبيرة وفى رأسى بضع كلمات كأنها نكات لعلها تضحك لها.
إن البيت هادئ هدوء غريب.. هدوء له رائحة والذين يستقبلوننى لا يبتسمون لى.. خطوت نحو غرفتها ثم تراجعت قبل أن أصل.
لا أحد يكلمنى.
وفى البيت طبيب صديق نظرت إليه لعله يتكلم!
سألته: هل رأيتها؟
قال وهو لا ينظر إلىّ: نعم الحالة خطيرة.. هذا كل ما أستطيع قوله.
قلت: والنبض؟
قال: لا أستطيع أن أتحسَّسَه!
قلت: القلب؟
قال وهو يدير رأسه عنّى كأنى أتعبه بأسئلتى: ليس معى سماعة ولا أستطيع أن أسمعه.. أمسكت بذراع الطبيب وقلت له فى لهفة: والتنفس يا دكتور؟
قال وهو يخطف ذراعى من يدى: نعم.. إنها تتنفس.. وسكت.
ثم جاء الطبيب الإخصائى ودخل إليها ولم يمكث سوى دقيقتين ونظرت فى وجهه متسائلًا وجزعى يغلب تساؤلى..
ولم يتكلم الطبيب ثم سمعت صوتًا لا أعرفه.. صوتًا غريبًا لم ألتق به من قبل.. صوتًا يقول: البقية فى حياتك!
وصرخت..
هل أنا الذى صرخت؟ لا أدرى.. ولكننى أحسَسْتُ كأن شفتى قد انفجرتا وانطلقت منهما صرخة..
«البقية فى حياتك».. هذه كلمة لا تقال لى.. لا يستطيع أحد أن يقولها لى.. ليس لى حياة كاملة إلا مع أمّى..
وهرعتُ إليها.. اقتربت منها..
إنها راقدة فوق فراشها كما تعودت أن أراها.. وهى تبتسم.. إنى لا أتخيل أو أبالغ. لقد كذبوا علىَّ!
قولى لهم يا أمّى أنهم كذبوا علىّ.. ماما.. ماما.. ردّى علىّ يا حبيبتى.. ودخل الناس حاولوا أن يحملونى من جانبها..
أرجوكم أخرجوا من هنا.. إنها أمّى.. وأنتم تكذبون.. وقمت واقفًا على قدمى.. ونفضت أصابعى فى الهواء أهدّد بها كل من يحاول الاقتراب منى..
وسقطتُ على ركبتىّ بجانب فراشها..
ودخلوا مرّة ثانية يحملونى عنوة بعيدًا عنها.. نظرت إليهم متوسلًا.. لحظة واحدة.. أرجوكم.. وأمسكت باليد الكريمة الموضوعة بجانب الجسد الطاهر.. وقبّلتها.. ثم رفعتها إلى جبينى كما عودتها كلما التقينا وكلما افترقنا..
وخرجتُ إلى البهو متماسكًا.. أدّعى الهدوء.. وبدأت أشعر أن الحياة كلها وقفت.. كل شىء هادئ ساكن لا يتحرك.. وهى وأنا قد انتقلنا إلى عالم آخر».
هكذا وصف «إحسان» بلغة أدبية بديعة كيف ودّع أمّه بعد الفراق وكيف كان اليوم الأخير فى حياتها.

روح وحياة

«تحصين وتعقيم وترقيم»

مبادرة لحماية الحيوانات :

حكايات الإنس والكائنات المبهجة

نسرين عبدالرحيم

لا شَكّ جميع الأديان أوصتنا بالرحمة والرفق بالحيوان، ذلك الكائنُ الذى مَهما بلغت قوته فهو ضعيف لا حَوْل له ولا قوة.. فالحيوان فى النهاية روح وجسد.. له حقوق ينبغى أن يراعيها البَشر، ويعوها، غير أن تلك الحقوق تُهدَر فى أوقات كثيرة، سواء عن جهل أو عن عَمْد.. لكن اللافت- وكان بمثابة المفاجأة بالنسبة لى- هو أن تعقيم تلك الحيواناتِ، أى جعلها عقيمة.. هو أحد أشكال الحفاظ على أرواح تلك الحيوانات مستقبلاً.. وهو الأمْرُ الذى يلجأ له بعض المهتمين بأمْر هذه الكائنات حفاظا عليها.. «روزاليوسف» التقت عددًا من المهتمين بمجال إنقاذ الحيوانات ليرووا لنا بعضًا من قصصهم وأيضًا أفكارهم نحو إنقاذ الحيوانات.

تقول «مى حمادة»- مؤسِّسة فريق إسكندرية لإنقاذ الزواحف والحيونات البرية وسفيرة اليوم العالمى للحيوان- إن الكلاب تتكاثر فى الشوارع بشكل كبير مما يجعل البعض يُصاب بالرُّعب أثناءَ تواجُدها مع أبنائهم، وقد يلجأ البعضُ إلى تسميم تلك الكلاب أو القطط، إلّا أن هناك طريقة أفضل وهى تعقيم الحيوانات، سواء الكلاب أو القطط من خلال عملية بسيطة، فمن المعروف أن القطط بعد فطمها تترك أبناءَها، وأيضًا الكلاب، مما يُعَرّض تلك المخلوقات إلى حوادث الطريق أو إفزاع المارّة، فبدلًا من قتلها أو تعرُّضها للحوادث يكون التعقيم خيرَ وسيلة لحمايتها.

وتضيف: دائمًا ما تتعرض القطط لحوادث غريبة، ولا أنسَى عندما كنت أسير بأحد الشوارع وكان معى صديق وسمعت صوت قط يستغيث وكان الصوت صادرًا من سيارة مركونة، وبالبحث علمنا أن القط عالقٌ داخل موتور السيارة، وحاولنا إخراج القط، وبعد أكثر من 11ساعة أخرجنا القط من الموتور وقمتُ باصطحاب القط إلى منزلى وقدمت له المساعدة اللازمة حتى كبر.

وأيضًا أتذكر أحد الكلاب كان معروفًا عنه فى المنطقة بالشراسة والنباح باستمرار، إلا أننى شاهدته يبكى بسبب حادث تعرّض له ابنه الصغير فقمت بطلب طبيب بيطرى وأجرى «للجرو» جراحة عاجلة، والغريب أن الكلب كان يتابع الجراحه التى يجريها الطبيب لابنه؛ فتأدّب وكَفّ عن النباح ووقف ينظر بحزن وترجّى للطبيب وكأنه إنسان يعى حتى تم ربط قدم الجرو.

والغريب أن الكلب ظل يمشى ورائى حتى عرف منزلى وأصبح كلما شاهدنى يجرى ناحيتى مُرَحّبًا بى.

وتُحذر «مى» من النصب باسم مساعدة القطط؛ حيث تقول هناك من يكون لديه قط مصاب أو عثر على قط مصاب ويطلب له المساعدة عبر الجروبات الخاصة بالحيوانات، إلا أنه يحصل على أموال كثيرة نتيجة لتعدُّد المتبرعين.

■ **مأوَى للقطط والكلاب**

وتضيف «نانسى نجيب»- مهندسة معمارية: لدىّ سنتر لإنقاذ الحيوانات أو ملجاء أو مأوى، يقع بأحد الأماكن الزراعية بمنطقة تسمى أبوصير على طريق سقارة؛ لتكون بعيدة عن المساكن، أسعى لأن يكون جمعية تحت إشراف وزارة التضامن الاجتماعى؛ نظرًا لنَفاد الموارد؛ حيث يحتاج المكان دائمًا لمصاريف من عمالة وصيانة وطعام.

تقول: إن رعاية الحيوانات والاهتمام بإنقاذها وإسعادها متعة لا يعلمها إلا من حاول تجربتها. لافتة إلى أنه بعد إنقاذ الحيوانات، سواء القطط أو الكلاب، لا يمكن أن أعيدها للشارع مرّة أخرى؛ حيث اعتادت على الحياة الكريمة، وستتعرض لحوادث نتيجة أنها اعتادت على العيش فى مأوى، لذلك لا يمكن أن أعيدها بعد شفائها مرّة أخرى للشارع. وتضيف: يجب على الأهل أن يُعلّموا أطفالهم مَحبة الحيوانات وعدم أذيتها. وتضيف: كل فترة تأتى وفود لزيارة الملجأ.

وعن إحدى قصصها التى لا تنساها تقول: كان هناك ثلاثة جراء حديثة الولادة عثر عليها فى إحدى الترع قمت بإنقاذها بأعجوبة ومعالجتها. وتضيف: إن تعقيم الكلاب والقطط؛ خصوصًا الذكور مفيد جدًا لمنع التكاثر غير المحبب ولتفادى تعرُّض الأطفال للحوادث.

من لم يجرب رعاية الحيوانات وإنقاذها وإسعادها فاته الكثير

■ **معجزة!**

وتضيف «ليلى خليل»- محامية من محبى رعاية القطط والكلاب وتقطنى الكثير من القطط بمنزلها: إن لإنقاذ الحيوانات متعة خاصة وسعادة لا يعرفها الكثير. وعن أصعب المواقف التى تعرضت لها تقول: كانت لدى قطة سيامى أنجبت ستة من القطط وخرجت ولم تعد، وكانت القطط الصغيرة تبحث عن الرضاعة، فاقترح علىّ البعض أن آخذ قطة شيرازى توفيت أبناؤها حديثا لتقوم بإرضاع القطط كبديل عن أمّها، وبالفعل قامت القطة بإرضاع القطط الصغيرة التى تعلقت بها كثيرًا وبعد شهر عثرنا على القطة التى كانت قد خرجت وكانت تريد إرضاع صغارها وحدثت مشادة بينهما.

وأيضًا أتذكر أن كان لدى قط أصيب بالعمَى وأكد لى الأطباءُ أنه لن يستطيع أن يرى مرّة أخرى، إلا أنه ذات يوم أثناء قيامى بالصلاة جرى نحوى وألقى نفسه فى حضنى وعلمت أنه أصبح يرى جيدًا، وتلك بالطبع معجزة.

■ **مبادرة إنقاذ**

ومن جانبها أكدت دكتورة «غادة حسين»- نقيب الأطباء البيطريين بالإسكندرية- أن الحيوان مخلوق ضعيف يحتاج إلى الرحمة والشفقة والرفق مَهما بلغت قوته أو أصيب بمرض مثل السُّعار.

لافتة إلى أن هناك مشروعًا بحثيًا كانت قد تقدمت به حول ترقيم وتعقيم وتحصين الحيوانات المشرَّدَة من خلال وضع رقم على أذنها بالتعاون مع الأحياء والجمعيات المختصة بالحيوانات وتعقيمها وتحصينها، بحيث يتم تعقيمها مع الحفاظ على السلالة. لافتة إلى أنه لم يُطبَّق بالإسكندرية؛ نظرًا لتكلفته.

وأشارت إلى أن التعقيم بنسب مُعيّنة بحيث يحافظ على السلالة التى تعمل على التوازن البيئى وأيضًا يمنع التكاثر المُبالغ فيه، وتم تطبيق المبادرة الخاصة بى بالبحر الأحمر والمعادى وعدد من الأماكن. لافتة إلى أن هناك سلالات جيدة يمكن تعقيمها ومعالجتها وتصديرها للدول التى تهتم بالحيوانات وليست التى تأكل الحيوانات، فهناك سلالات جيدة كانت تعيش فى منازل وتم تركها فى الشارع؛ خصوصًا فترة «كورونا»، وأيضا الكلاب التى أصيبت بالسُّعار يمكن وضعها فى أماكن منعزلة حتى تموت بطريقة رحيمة. ■

حكاية الرقص الشرقى

الحلقة الرابعة والأخيرة

4

الأدباء والعلماء أنصفوا الرقص الشرقى فى أعمالهم : «الواحدة ونص» دراسة علمية

حلقات تكتبها:

إيمان القصاص

بعد أن استعرضنا فى الحلقات الثلاث الماضية تاريخ الرقص وأشهَر الراقصات، وجدنا أن يكون الختام برؤية الأدباء والباحثين لِلرقص؛ خصوصًا الشرقى. فالرقص الشرقى دائمًا ما كان فنّا مظلومًا ويُنظر له بنظرة مختلفة عن جميع الفنون، حالة صعود وهبوط تنتابه على مدار العصور، يُتّهَم دائمًا بسوء السمعة، رُغْمَ أن الرقص عامّةً والرقص الشرقى خاصةً؛ فنٌّ مصرىٌّ قديمٌ؛ فإنه لم يحظ بدراسات وأبحاث علمية تناقشه وتحلّله وتوضح مكانته، ربما لأن الغالبية تستنكف هذا.. نحن نشاهد الرقص لكننا لا نشغل أنفسَنا بما يدل عليه من دلالات اجتماعية أو تاريخية أو حتى نفسية.

ºg øØdG Gò¡H ºàgG iòdG ¿ÉCÖjô¨dG øeh أبعد الناس عن هذا الفن، فقد اهتموا به كعلْم.

وَلعل أبرزَ هؤلاء اثنان من كبار الأسماء الأدبية والفكرية فى مصر.. الأول هو الأديب الكبير يحيى حقى صاحب (البوسطجى) و(قنديل أم هاشم).. والثانى هو الناقد الكبير دكتور محمد مندور.. الأول صاحب كتاب (يا ليل يا عين)، والثانى صاحب كتاب (وحدة الأدب والفن).

ففى كتاب يحيى حقى مقال مهم عنوانه «رقصة البطن»، يقول فيه رقصة البطن، هى رقصة محيرة جدّا، يثور حولها بين المثقفين وحدهم جدل لا ينتهى، فيهم أنصارٌ أحباءٌ متحمسون وأعداءٌ ألدّاءٌ كارهون.

كلا الطرفيْن يقفز بسهولة وطرَب وفروسية من حد الاعتدال فى الرأى إلى قمة الغلو، فترى فى حججهم نقصًا فى القدرة على تلمس الحق وعلى الإقناع، فمن غلو الكارهين لها قولهم: إنه تعبيرٌ مكشوفٌ فاضحٌ، بل عن الشهوة الحيوانية، غرضها الأوحد هو إثارة هذه الشهوة.

ويقولون إن التحضُّر هو سم هذه الرقصة، يقضى عليها، فهذا دليل على بربريتها، فالأسرة التى ارتقى مستواها ورقّ ذوقها لا تنتظر من أخت العروس ليلة الفرح ولا من أمّها أن تقوم أمام المعازيم تقدم رقصة البطن؛ وإنما تنادى هذه البنت الريفية الغلبانة التى تخدمهم من أجل لقمة العيش وتجبرها على أن تؤدى لهم هذه الرقصة، فمقام هذه الرقصة عندهم هو مقام هذه البنت.

أما المثل المضروب برقص البنت الريفية الغلبانة فهذا بالعكس دليل على أنها رقصة ملتصقة بالشّعب داخلة وجدانه، لا شىء يضيع عنده هباء فى الهواء مثل جدل المثقفين حولها.

■■

الكلام بطبيعة الحال عن أداء المرأة لرقصة البطن، أمّا الشىء البشع، الرذل، الممقوت، المنحط الذوق، الجارح للحياء، المخل بالكرامة، فهو تطوّع رجل فتوة شحط، ذى كرش كالبرميل، بأداء رقصة البطن فى ساعات الفرح وسط اللمّة أو الزفّة، وأبشع من ذلك تشجيع الأطفال- بنات وصبيان- على رقص البطن..

فى الكتاب ذاته مقال آخر عن رقصة الحجّالة، ويقول:

تبين أن أنواع الرقص لدينا لا تتعدى رقصتين ونصف لا غير وبعد أن ناقشنا رقصة الريف فتبقى رقصة البدو وتختص بها ضواحى مرسَى مطروح والسَّلوم فى الصحراء الغربية.. وتعتمد هذه الرقصة على تثبيت الراقصة بقدميها على الأرض وتركيز الحركة كلها على الخصر والردفين.. قد تتطلب شيئًا من البراعة ولكنها بسبب حبسة الراقصة داخل قيد قد توصف بأنها نصف حية، نصف ميتة، ويزيد من استحقاقها لهذا الوصف أن الراقصة تلبس ثوبًا ضيقًا يغطى جسدها إلى الكعبين، داكن اللون، بلا غلوّ فى بهرج، ولا تخلعه الراقصة بعد أن تؤدى دورها، بل تنتظر به بقية اليوم لأنه ثوب كل يوم، إذ لا يعرفها المجتمع إلا بأنها الراقصة سواء رقصت أو لم ترقص.

ومن العجيب أن راقصة الريف تتحرك مع أن الوادى المنزرع ضيق، وراقصة البدو ثابتة مع أن الصحراء من حولها شاسعة، فأنت ترى أن رقصة الحجّالة لا تؤديها إلا محترفة؛ لأن التقاليد الاجتماعية عند بدو الصحراء لا تسمح لبناتهم بالرقص أمام الأغراب.

خلاصة الكلام؛ أننى لا أرى رقصة الحجّالة ترقيًا إلى مقام الرقصات الشعبية إلا بتحفظ شديد.

وفى كتاب دكتور مندور يقول: بدأ لى أن أكتب عن الرقص، وذلك أملًا منّى فى تقويم الأخلاق، ولقد يلوم هذا غريبًا، فكيف نقوم الأخلاق بالحديث عن الرقص، ومع ذلك فهذا حق، فالرقص ونقصد به الإيقاعى والتعبيرى لا الرقص الشرقى طبعًا، يورث مَن يزاوله من رجال ونساء قوة فى الجسم وتحرُّر النفس من آفاتها.

وقديمًا حرص سقراط الشيخ على أن

يتعلمه ليقلل من قبح جسمه المنبعج، ويقوى من ضعفه، فقال لأصدقائه وتلاميذه وقد اجتمعوا يومًا بمنزل أحدهم حول غلام يعلم الرقص: «اتضحكون منّى لأنى أريد بالرياضة أن أتعهد صحتى فأتمتع بأكل هنئ ونوم سليم؟! أتضحكون لأنكم تعتقدون أن شيخا مثلى لن يصاحب مدربًا رياضيًا إلى الخلاء فيعرى جسمه أمام الجماهير، بل يقنع بغرفة طعام كهذه التى يكتفى بها هذا الغلام؟ أتضحكون لأنى سأتدرب فى الشتاء تحت السقف وفى الصيف تحت الظلال إذا اشتدت حرارة الشمس؟! أمْ تضحكون لأننى رحت ببطن كبير إلى حد ما فأردت أن أرده إلى حجم معقول؟!

■■

وفى هذا يقول شاعر الإغريق أناكريون «عندما يرقص الشيخ لا ترى فيه عجوزًا غير شعره، وأمّا روحه فتزال فتية».

والرقص كما هو رياضة للجسم رياضة للروح، وذلك؛ لأنه يغذيها بشعورين لهما أثر عظيم فى الحياة، وهما الشعور بالمرح ثم الشعور بالجمال، وليس من شك فى أن هذين الشعورين من أضعف المشاعر عند الشرقيين، حتى لأحسب أن جانبًا كبيرًا من ضعف النفوس الذى نشكو منه يرجع إلى الحزن الذى يُنزل الخراب بالقلوب، كما أن الإحساس بمعنى الجمال ومعاييره الصادقة يكاد يكون منعدمًا، والنفس الحزينة لا تعرف الثقة والتفاؤل، والحس الذى لا يدرك الجمال لا يحجم عن الخسيس من الأمور، ولو أنك قارنت بين الرقص الشرقى والغربى لأدركت الفارق بين المشاعر التى يثيرها كل منهما، فالرقص الشرقى رقص تمرُّد جسمى، حركاته زوايا لا منحنيات، وهو إثارة للغريزة الجنسية فحسب، وأمّا الرقص الغربى فإيقاع وتعبير، وهو فى أصح أوضاعه يستمد إيقاعَه من الموسيقى الشائعة فى الطبيعة، ففيه عنصرا التموّج والاستمرار، وليس بخاف أن الحياة كلها تموّجات موقعة، فالصوت والضوء والموج والريح والشجر وأوراقه، كلها تسير أو تهتز موقعة فى موجات. والحركة دائمة مستمرة حتى فى الجماد؛ حيث ترقص الذرّات الكهربائية. والراقص أو الراقصة فى أوروبا لا يخترع حركات وإنما يكتشف حركات، يكتشف ما هو كامن فى نظام الحياة والوجود، وإن كان لا يقف عند الإحساس بالطبيعة بل يعدو الإحساس إلى الدرس، ويروّض نفسَه على تشرُّب موسيقاها بالتدريب الطويل المتصل حتى يجيد فهمها فتصبح الحركة تعبيرًا عن معانى النفس.

والإنسانية منذ أقدم عصورها لم تعرف الرقص منفصلًا عن غيره من الفنون، ومنذ الأزل والناس يجمعون بينه وبين الموسيقى والشعر فى ثالوث فنى يستهوى أفئدتهم. ولربما كان الرقص أقدم هذه العناصر وأكثرها انتشارًا. فالحركة لا ريب قد سبقت اللفظ فى التعبير. وفى الجسم إيقاع عضوى يتحرك لنغمات الطبيعة، على غير وعى منا.

ومنذ سنين قليلة كتب الشاعر الفرنسى الشهير بول فاليريه حوارًا رائعًا عن الرقص، وفيه يقيم توازنا متصلا بين حركات الراقص وحركات الفكر الذهنية، ولفهم هذا العلاقة دعنا ننصت إلى فقرة رائعة من مذكرات دونكان: (لقد أنفقتُ أيامًا ولياليَ كاملة فى «الأتلييه» لأبحث عن رقص يستطيع بحركات الجسم أن يُعَبر عن الروح تعبيرًا إلهيًا، ولساعات طويلة كنت أقف ساكنة جامعة يدى إلى صدى ووالدتى ذاهلة من موقفى هذا، ولكننى انتهيت بأن اكتشفت الدافع الأساسى لكل حركة، والبؤرة القوية التى تنعقد فيها وحدة الأوضاع.

■■

ومدرسة الرقص التقليدية تلقن تلاميذها أن المركز الأساسى للحركة قائم وسط الظهر عند نهاية العمود الفقرى من أسفل، ومن هذا المركز تنطلق حركات الأذرع والجزع حُرّة. ولكنها عندئذ لن تكون غير حركة عرائس من الخشب ولن ينتج عن رقص كهذا غير حركات آلية مصطنعة غير جديرة بالروح، والذى كنت أبحث عنه لم يكن مصدر هذا النوع من الحركات، بل مصدر حركات النفس التى تشيع فى الجسد وقد امتلأ ضوءًا فعكس فيه رؤية مشرقة، بعد أشهُر طويلة من الجهد المتصل ركزتُ فيها اهتمامى فى هذه البؤرة الموحدة، لاحظتُ أننى عندما أنصت إلى الموسيقى تنساب إلىّ أشعة وموجات تجرى فى فيض متلاحق نحو منبع الضياء فى نفسى؛ حيث تنعكس الرؤية المشرقة، ولم يكن هذا المنبع مرآة روحى، وبفضل إشراق تلك الرؤية كنت أستطيع أن أعَبّر عن الموجات الموسيقية بحركات راقصة).

وما أريد أن أختم هذا المقال دون أن أذكر أحد أساتذتى الفرنسيين وهو لويس سيشان، وقد كان رجلًا جادًا على رقة نفسه، رجلا حى القلب حى الضمير، وقد تعلقت بتعاليمه فبحثت عن مؤلفاته وإذا من بينها كتاب قيّم عن الرقص عند الإغريق القدماء، فدهشتُ لأستاذ فى الجامعة يكتب عن الرقص وكنت لاأزال حديث العقد بالغرب وأحكامه ولكننى لم أكد أتناول الكتاب حتى وجدته قد صدّره فى أول صفحة بثلاث كلمات لأفلاطون قالها الفيلسوف عن الشعر، وأبَى أستاذنا إلا أن يطلقها على الرقص، وهى قوله «شىء خفيف مجنح مقدس». ■

روز 2

يرسمها:
مصطفى سالم

هو..

ترسمها:
ياسمين مأمون

وهى